هوامش

أحد عشر شهراً استغرق ترميم مبنى محطة مصر التاريخي في مدينة الإسكندريّة. هذا الصرح الذي يحكي أحداثاً تاريخية تعاقبت على المدينة العريقة

من المنتظر أن تستغرق أعمال التطوير 12 شهراً (Getty)

محطة مصر
الواجهة الخديوية لمدينة الإسكندرية

القاهرة ـ **محمد كريم**

مع قرب الانتهاء من ترميم مبنى محطة مصر التاريخي وتطويره، والذي استغرق لـ10 حوالي عشرة أشهر، أطلق محافظ الإسكندرية بياناً يشير إلى بدء العمل في تطوير ميدان محطة مصر الذي يعد مركز المدينة العريقة. يطلق أهالي الأقاليم على القاهرة العاصمة اسم «مصر»، ولذلك يطلق أهل الإسكندرية عليها اسم «محطة مصر» نسبةً إلى المدينة الرئيسية التي تنطلق منها وإليها معظم القطارات، ومن هذه المحطة تتحرك القطارات من القاهرة وإليها عبر محطة سيدي جابر. وتستقبل يومياً عشرات الآلاف من الركاب، إضافة إلى البضائع. يرتبط إنشاء محطة مصر بتاريخ إنشاء السكك الحديدية في الشرق الأوسط وأفريقيا في منتصف القرن التاسع عشر، حين كُلّف المهندس الإنكليزي روبرت ستيفنسون (1803-1959) بالإشراف على المشروع، وروبرت هو ابن مخترع القاطرة البخارية جورج ستيفنسون (1781-1848). بدأ العمل في خط يربط بين القاهرة والإسكندرية في 12 يوليو/تموز 1851، في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، وتم الانتهاء من هذا الخط وتسيير القطارات عليه وصولاً إلى محطة الإسكندرية سنة 1856. أما المبنى المميز للمحطة فقد تم تصميمه ثم افتتح في عهد الملك فؤاد سنة 1927 بعد عملية توسعة كبيرة أمر بها، حيث أُنشئت المحطة بطراز ينافس محطتي سكة حديد روما وباريس. من أجل التأكيد على الطابع الأثري للمحطة بالكامل والحفاظ على تصميماتها التاريخية، تُشرف على أعمال التطوير الحالية لجنة حماية التراث العمراني وجهاز التنسيق الحضاري. وتتضمن أعمال التطوير ترميم الواجهة والجدران والأسقف وتدعيمها، وتطوير صالات التذاكر والأرصفة الثمانية والصالة الداخلية للمحطة، ونفق المشاة الداخلي، وعمل ساحة انتظار السيارات الخارجية، مع تغيير شبكة مرافق المحطة بالكامل من مواسير مياه وصرف وكابلات كهرباء ونظام مكافحة الحريق.

يشتهر ميدان الشهداء بالإسكندرية باسم «ميدان محطة مصر» حيث تقع في وسطه محطة السكة الحديدية. وهذا الميدان يمتاز بموقع فريد، فمنه يخرج شارع الأمير محمد عبد المنعم (وصي العرش بعد ثورة يوليو 1952) الذي يتوجه إلى ميناء الإسكندرية. وفي ناحيته القبلية يقع أعرق أحياء المدينة وهو حي محرم بك، وهو حي الطبقة الأرستقراطية في العهد الملكي (محرم بك هو زوج ابنة محمد علي باشا وقائد الأسطول البحري المصري). وفي ناحية الميدان البحرية توجد منطقة آثار كوم الدكة والمسرح الروماني الذي يعود إلى القرن الرابع الميلادي. أما في ناحيته الشرقية فيقع استاد الإسكندرية. في 1951 قدم الفنان فتحي محمود إلى الملك فاروق تصميماً لتطوير المساحات الفارغة حول المحطة واستثمارها، فكان التصميم عبارة عن قاعدة غرانيتية ضخمة تتزين بلوحات وأكاليل من البرونز المطروق تمثل الحضارة المصرية الحديثة والنباتات الموجودة في بر مصر، مع وضع تمثال للملك فؤاد أعلى القاعدة، لكن قيام ثورة يوليو 1952 أوقف المشروع. وبعد حرب أكتوبر 1973 أمر الرئيس السادات بتحويل الميدان إلى نصب تذكاري للجندي المجهول، وتم تعديل التصميم ووضع شعلة ضخمة أعلى القاعدة لإحياء ذكرى شهداء حرب أكتوبر. وشيئاً فشيئاً تحول الميدان إلى مركز تجاري ضخم. بدأت عملية التطوير الجارية الآن في الميدان بإزالة الإشغالات المخالفة للباعة الجائلين. ومن المنتظر أن تستغرق أعمال التطوير 12 شهراً، وسوف تشمل أعمال التطوير استعادة جميع الحدائق التي أصابها الإهمال، مع إنشاء 182 باكية و60 محلا تجارياً، وإقامة مواقف للسيارات العامة والخاصة، وتنظيم حركة مرورية دائرية كاملة.

تعتبر محطة سيدي جابر محطة قرينة بمحطة مصر تاريخياً ووظيفياً، ومع إنشاء أول خط سكك حديدية في مصر وأفريقيا، كانت سيدي جابر في ذلك الوقت خارج حدود مدينة الإسكندرية، إلا أن التوسعات المتلاحقة بالمدينة بعد إنشاء خط ترام الرمل جعلت من مركز سيدي جابر أحد الأحياء الجديدة بالمدينة، حتى أصبح حي سيدي جابر مركز مدينة الإسكندرية الحديثة حالياً. وتبلغ المسافة التي يخترقها الخط الحديدي بين محطتي مصر وسيدي جابر خمسة كيلومترات، ويمر بأحياء مصطفى كامل وسيدي جابر والحضرة. وجميع القطارات القادمة إلى محطة مصر أو المنطلقة منها تمر بسيدي جابر.

باختصار

بدأ العمل في خط يربط بين القاهرة والإسكندرية في 12 يوليو/تموز 1851، في عهد الخديوي عباس الثاني

■■■

تُشرف على أعمال التطوير الحالية لجنة حماية التراث العمراني وجهاز التنسيق الحضاري

■■■

في 1951 قدم الفنان فتحي محمود إلى الملك فاروق تصميماً لتطوير المساحات الفارغة حول المحطة

وأخيراً

رسائل إلى الجنّة

محمود الرحبي

«كل عام وفدوى تغني في الجنّة».. رسالة كتبها القاص حمود سعود إلى صديقه أحمد الراشدي، مؤلف كتاب «رسائل إلى فدوى» الذي صدر، قبل أيام، عن دار نثر العُمانية. .. والملاحظ أن كلمتي «الرسائل» و«الجنة» وردتا أكثر من غيرهما في هذا الكتاب الذي وثق فيه كاتب قصص الأطفال والحكواتي، الصديق أحمد الراشدي، الرسائل التي تبادلها مع ابنته فدوى التي رحلت عن عالمنا وهي في عمر الزهور (ستّ سنوات)، حين كان والدها في نزهةٍ في مرتفعات جبال الكاميرون في ماليزيا. وبينما كان الراشدي في سوق شعبي هناك، ارتدى قبعةً فيها رسوم حيوانات، وطلب من رفيق رحلته أن يصوّره. وبعد أن عاد إلى الفندق، أرسل الصورة إلى زوجته عبر واتس أب «هدية لحبيبتي فدوى».. لكنْ روح الملاك فدوى كانت، في تلك الأثناء، فوق سطح بيت جدّها في ولاية سمائل، تفارق جسدها الجميل لتحل في جنة الله الواسعة، إثر إصابتها بتماسّ كهربائي وهي تلعب..

ولكن أحمد الراشدي استمرّ وفيا لكتابة الرسائل إليها .. رسائل في غاية العذوبة، يتّحد فيها الألم بالإيمان، برحابة الكون، وكسر الفواصل بين الواقع والعدم. رسائل بنبرة أدبية مهّدت لها مقدمتان، خطّ أولاهما القاص سليمان المعمري والثانية مؤلف الكتاب نفسُه، يشرح فيها سياقات الألم وانشغاله الموجّع بغياب حبيبته الملاك بعد هذه النهاية الصادمة. «مرّة خرج يركض حافي القدمين - حاملا قنينة ماء - ليسقي قبر حبيبته، إثر شمس وارية»، وتماهياً مع قول محمود درويش «الموت لا يوجع الموتى / الموت يوجع الأحياء»، نجح الراشدي الأب في أن يؤسّس جسر تواصل مع ملاكه الصغيرة الحاضرة/ الغائبة، وأن يبدع نصّه الخاص الملتحم والمشتبك بالتجربة الوجودية والمصيرية؛ وهو ما عكسه تساؤل سليمان المعمري في تقديمه الكتاب: «كيف استطعت أن تُحوّل هذا الحزن إلى كتاب إبداعي!؟»..

وعكس الكتاب لوعة الكاتب على فراق فلذة كبده، ففي إحدى رسائل الكتاب يستأذن الراشدي ملاكه الصغيرة في أن يهدي لعبتها إلى أختها: «أختك مكية تقول لي: بابا، إذا كانت فدوى راحت الجنة أنا آخذ آيبادها نزينه؟ ما رأيك يا فدوى الطيبة؟»..

وجدير بالإشارة أن الراشدي كان قد أطلق على صغيرته الراحلة اسم فدوى تيمّنا بالشاعرة فدوى طوقان «حتى يذكّرني اسمها بفدوى فلسطين». وكان الكاتب قد قرأ دواوين الراحلة طوقان، وأعجب كثيرا بسيرتها «رحلة جبلية رحلة صعبة»، إذ قال عنها «كانت فدوى طوقان شاعرة فيها شموخُ الشمس، فعزمتُ على تسمية أول مولودة لي باسم فدوى».

وورد في كتاب الراشدي عن ملاكه الراحلة مقطع لا يمكّن القارئ من مقاومة دموعه وهو يقرأه، يلخص متفرقات كل ألم ويجمعها، كما يقول ديستويفسكي في إحدى روائعه الخالدة «إن في الحياة ساعة تتجمع فيها آلام سنوات». إذ يكتب الراشدي إلى حبيبته، مستذكرا لحظة توديعها الطويل له، قبل أن يسافر إلى ماليزيا: «إرجعي لي، يا حبيبتي، لأعالج عينيك الجميلتين. سامحني يا رب، سامحني. كيف سمحت لنفسي بأن أسافر وعينا فدوى كانتا حمراوين. تنظران إلي نصف مغمضتين. إرجعي لي، يا حبيبتي، وسأفقأ عيني، لتبصر عيناك .. عيناك سماءُ حبّ وفرح لي ساعة الهمّ. عيناك حديقة ورد تورق ربيعا عند عودتي إلى البيت. عيناك ضحكتان مهاجرتان من فرح الفرح.. عيناك.. عيناك».

> كتب أحمد الراشدي الرسائل إلى ابنته فدوى بعد رحيلها في أكثر من بلد، منها المغرب وإيران، وطبعا عُمان

ومعروف أن أحمد الراشدي هو في الأصل مُربّ وناشط اجتماعي في مجال الطفولة، ويعدّ برنامجا في هذا المجال. وإلى جانب كونه حكواتيا «ورث المهنة»، من جدّته، كما يشير في مؤلّفه الجديد. صقل الراشدي موهبة الحكواتي بانفتاحه على تجارب لحكواتيين عرب، تعرّف عليهم وزاملهم، منهم العراقية انطلاق محمد علي واليمني عبد الرحمن عبد الخالق ومؤلف القصص السوري مهند العاقوص والفلسطينية دينيس أسعد واللبنانية إيفا كوزما وغيرهم.

كتب الراشدي هذه الرسائل بعد رحيل ابنته فدوى في أكثر من بلد، منها المغرب وإيران، وطبعا عُمان.. كان، إذن، يبعث من كل مكان في الأرض رسائل إلى الجنّة.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**